رأي القدس

شعوب حية وشعوب نائمة

■ قوبلت جولة الرئيس الامريكي جورج بوش في دول شبه القارة الهندية بمظاهرات صاخبة، رفعت شعارات معادية للولايات المتحدة وسياستها الخارجية التي تستهدف اذلال المسلمين، ودعم اعدائهم. والمتظاهرون هؤلاء يملكون كل الحق في التعبير بشتى الطرق والوسائل عن استيائهم تجاه الرئيس بوش وسياساته، فالرجل خاض حربين اساسيتين في اقل من خمس سنوات، الاولى في افغانستان والثانية في العراق، لخدمة مصالح الدولة العبرية، وضمان استمرار احتلالها لاراض اسلامية، وعدوانها الدموي على شعب عربي مسلم في فلسطين.

الرئيس الامريكي رجل كاذب مخادع جر بلاده الى حروب دموية، ودمر سمعتها العالمية وقوض مصداقية المنظمة الدولية، ولهذا انخفضت شعبيته في الولايات المتحدة الى اقل من ثلاثين في المئة، وهي نسبة متدنية تعتبر رقما قياسيا غير مسبوق في تاريخ امريكا.

فاذا كان سبعون في المئة من الامريكيين لا يؤيدون رئيسهم، فان علينا ان نتوقع الشيء نفسه من الغالبية الساحقة من الافغان والهنود والباكستانيين الذين يرون النتائج الكارثية للسياسة الامريكية في منطقتهم (افغانستان) وفي العراق.

فالحرب التي شنتها ادارة الرئيس بوش على الارهاب في افغانستان، زادت من اتساع نطاقه، ولم تقض عليه رغم اقتراب الذكرى الخامسة لبدئها. فتنظيم «القاعدة» بات اقوى عشر مرات مما كان عليه قبل هذه الحرب، وافغانستان تحولت الى دولة فاشلة، غير آمنة يسيطر عليها زعماء الميليشيات وقطاع الطرق، وتتضاعف فيها زراعة المخدرات عشر مرات على الاقل، بالمقارنة بما كان عليه الحال ايام حكومة طالبان الاصولية.

اما الحرب في العراق، فالنتائج الكارثية لا تحتاج الى المزيد من الشرح لتبيانها. فالبلاد تتجه بسرعة ليس نحو الديمقراطية والرخاء الاقتصادي، مثلما وعد الرئيس بوش اكثر من مرة، وانما الى الحرب الاهلية الطائفية.

وربما يكتمل نصاب الكوارث، وينجرف العالم بأسره الى الفوضى وعدم الاستقرار اذا واصل الرئيس بوش حروبه ضد الدول الاسلامية بقصف ايران او فرض حصار عليها، فالرجل توعد اكثر من مرة بانه لن يسمح لايران بتطوير برامجها النووية، وتخصيب اليورانيوم، ووزيرة خارجيته كوندوليزا رايس قامت بجولة عربية قبل اسبوعين لقرع طبول الحرب والبحث عن تمويل لها، خاصة من قبل دول الخليج النفطية.

السؤال الذي يطرح نفسه بالحاح هو عن اسباب عدم تظاهر الشعوب العربية ضد جولات المسؤولين في الادارة الامريكية في العواصم العربية على غرار ما يحدث في المدن الهندية والباكستانية؟

السيدة كوندوليزا رايس زارت مصر ولبنان ودول الخليج ولم تخرج مظاهرة احتجاج ذات شأن تعبر عن سخط العرب تجاه السياسات الامريكية التي تستهدف اذلالهم وفرض الهيمنة على منطقتهم، ودعم العدوان الاسرائيلي على شعوبهم!

والاكثر من ذلك ان السيدة رايس اقدمت على سابقة خطيرة، عندما ذهبت الى لبنان وتجنبت لقاء رئيس الجمهورية، وقصرت لقاءاتها على رئيس الوزراء واقطاب المعارضة، وهو تصرف غير دبلوماسي ينطوي على وقاحة غير مسبوقة في العلاقات الدولية.

يبدو واضحا ان الشعوب العربية شعوب غير حية، وتعيش حالة من التخدير غير مفهومة، فبينما تتظاهر الشعوب غير العربية تضامنا معها تغط هي في سبات عميق، وهنا تكمن المأساة السائدة حاليا في بلاد العرب.

حملة إنتخابية إسرائيلية !!

■ وصفت التحركات الرسمية الأخيرة، التي أعقبت زيارة التحريض التي قامت بها كوندوليزا رايس، وزيرة الخارجية الأمريكية للمنطقة.. وصفت بالإيجابية. وكان ذلك ملفتا للنظر، خاصة أنها جاءت على لسان مصادر نثق في سلامة نواياها.. ووقفنا أمام هذا الوصف، المثير للاستغراب، نتأمله ونرى ما فيه من صواب وخطأ.. فقد سرت في منتصف الأسبوع الماضي تكهنات عن عملية إعداد تجري لإقامة تكتل عربي رسمي، له طابع عسكري، يهدف إحباط الجهود الأمريكية الساعية لتغيير أنظمة عربية بعينها، بالعمل السياسي المدني أو بطريق التدخل المباشر، والانطباعة الأولى، لدينا، أن هذا يدخل ضمن سياسة اللامعقول، على نمط مسرح اللامعقول، الذي عرفه العالم في ستينات القرن الماضي، وشدنا هذا بعيدا عن هموم أخرى كثيرة، كتلك التي تواجه القضاة والصحافيين، وأهالي ضحايا العبارة، بعد بوادر التملص من تعويض ذويهم، بالضبط مثلما حدث مع ضحايا قطار الصعيد وغيره من حوادث وكوارث، حيث أثقل المسؤولون الاستيلاء على التبرعات والتعويضات، بوضع الأهالي وذوي الضحايا داخل دوامة من الإجراءات والتعقيدات البيروقراطية، فينتهي الموقف باليأس، وانصراف الناس عن المطالبة بحقوقهم، وغطى كذلك على هم وعود حسني مبارك التي لا تنفذ، ومنها الوعد الذي قطعه على نفسه منذ سنتين بإلغاء عقوبة السجن في قضايا النشر، وصولا إلى هم انفلونزا الطيور.

تكهنات لها علاقة بجولة كوندوليزا رايس، التي جاءت إلى المنطقة وهي تحمل ملفات ضرب سورية، وتصفية المقاومة في لبنان، وتجريد حزب الله من السلاح، ومنع إيران من دخول العصر النووي، وتجفيف منابع العون المالي والعيني للفلسطينيين، عقابا لهم على انتخاب حماس، وملف الغطاء العسكري العربي والإسلامي المطلوب لانسحاب قوات الغزو من المدن العراقية، وتأمين استقرارها في قواعدها، في كركوك والطليل (بالناصرية) ومطار البصرة ومطار بغداد، وقاعدة بلد، وقاعدة علي بن أبي طالب بالقرب من الرطبة، لاستكمال طوق القواعد الممتد من أفغانستان وباكستان ومنطقة الخليج العربي وتركيا وصولا إلى تركمنستان وقرغيستان، وملف استبدال قوات حفظ السلام الإفريقية في دارفور بقوات من الأمم المتحدة. وجولة رايس سبقت انعقاد مؤتمر القمة العربية، في الخرطوم، نهاية هذا الشهر. وهو ما أعطى لحسني مبارك المبرر للقيام بجولته في السعودية والخليج، ثم بعد ذلك

تكهنات عن قيام «تكتل عربي» يواجه التدخل الأمريكي

السيناريو المفترض لابتزاز الإدارة الأمريكية بعد جولة رايس

محمد عبدالحكم دياب *

اجتماعه بالزعيم الليبي معمر القذافي.

وعند التعرف على طبيعة هذه التكهنات. فسوف نجد أن التكتل المزعوم ذا الطبيعة العسكرية.. من المفترض تشكيله من قوات عربية تتدخل، في حالة إذا ما تعرضت دولة من الدول المشاركة فيه لخطر «تدخل خارجي»، على أن تحتل مصر نقطة ارتكاز للتحرك جنوبا إذا ما تعرض النظام السوداني لخطر الإسقاط، على أن تكون الأردن نقطة ارتكاز جاهزة للتحرك نحو الجزيرة العربية، لمواجهة أي خطر يتهدد العرش السعودي، وتتكفل نقطتا ارتكاز المغرب وتونس بالتدخل السريع في المغرب العربي ومحيطه الإفريقي، وتبدو تكهنات تنقصها الحبكة، إلى حد كبير، في مناخ كان فيه تحريض رايس هينا لينا!!.

ولأن هذا التحرك بدأه حسني مبارك من مصر وانتهى فيها، فإنه يبعث على القلق والارتياب.. فقبل وصول «حلاوتهم»، وهو اسم يدلل به صديقنا العزيز كمال الهلباوي، من قادة العمل الإسلامي، الوزير الأمريكية.. فالمتابع الذي اطلع على تصريحاتها حول خطأ الإدارة الأمريكية في دعم النظم العربية، الأكثر تخلفا واستبدادا على مدى عقود، يجد أن هذا صحيح تماما، والأصح منه هو أن هذه «الصحوة المتأخرة» جاءت لتنقذ الوضع الأمريكي من الحضيض الذي وصل إليه، وتنتشله من التردي الذي يعانيه. وتأتي لنجدة سفينة مشروع الهيمنة الغارق في رمال العراق المتحركة، والذي قد يهدد قاطرته، الممثلة في الدولة الصهيونية، بالغرق معه، وهي قاطرة جعلتها الإدارات الأمريكية المتعاقبة الأقوى على كل دول المنطقة. وجاءت المسيحية الصهيونية، المتحكمة في قرار أكبر ثلاث عواصم هي واشنطن ولندن وبرلين، مؤخرا، لتجعل منها القوة الأكثر قدرة على الضغط على المنطقة وشدها لحسابها، وهذا هو ما غير النظرة إلى النظم العربية والإسلامية، الموصوفة بأنها الأكثر تخلفا واستبدادا، لتصبح عبئا عليها، والتصور الأمريكي، الأكثر تخلفا واستبدادا، هو الآخر، يتجاهل أنه السبب في وصول الكراهية للسياسة الأمريكية إلى هذا المستوى، غير المسبوق، وذلك بسبب «الزواج الكاثوليكي»، الذي لا انفصام فيه، بين الاستبداد والفساد وبين السياسة الأمريكية.

كشفت جولة وزيرة الخارجية الأمريكية التناقض الواضح بين تعبيرها عن رغبة، من المرجح أنها غير حقيقية، في مساندة «برامج الإصلاح»، واستبدال النظم المتخلفة والمستبدة، بنظم أخرى أقل تخلفا واستبدادا.. رغبة إذا ما تحققت، تحمل مخاطر وصول الإسلام السياسي الراديكالي، إلى مقاعد الحكم بدلا من تلك النظم. وهذا الإسلام ينمو ويتصاعد بمعدلات أسرع من جهود الملاحقة وأكبر من طاقة الاحتواء، ويحمل تهديدا للمصالح الأمريكية والغربية، ويمثل خطرا حقيقيا على استمرار اغتصاب الدولة الصهيونية لفلسطين، بكل ما يعني من تهديد لمشروع الهيمنة الجديد. وهذا مأزق حقيقي لإدارة بوش، فتواضعت تطلعاتها وحصرت توظيف «برامج الإصلاح» في حدود الفزاعة لابتزاز هذه النظم، وتأكد ذلك في موقف رايس المتردد والمرتبك، وهو ما جعل حسني مبارك يحزم أمره لإشاعة مثل هذه التكهنات حول التكتل المزعوم، لمقابلة الابتزاز الأمريكي بابتزاز عربي. وهو لا يعدو أن يكون نوعا من التمنع الشبيه بما تبديه الجارية عند طلبها من طرف السيد للاستمتاع.

هذا التمنع اقتضى التحذير من ضرب إيران وآثاره، وبيان عواقب وقف المساعدة عن الفلسطينيين، بسبب نجاح حماس، واللعب بورقة الوقت. ليتيح لنفسه فرصة الحصول على أوراق يلوح بها في وجه الآخرين، بعد أن رأى بعض أوراق الابتزاز تتسرب من الأيدي الأمريكية، ومع ثقتنا المفرطة في غباء إدارة حسني مبارك، وضحالة «الفكر الجديد» الذي يحتمي بـ«الرئيس الموازي»، جمال مبارك، بدت رغبة البقاء والتوريث وتلبية مطالب وضغط شبق السلطة وسعار المال، وراء سعي، بشكل ما، للاستنجاد بمن يفتونهم في هذا الأمر. فخرج هذا السيناريو الرديء، من الدرجة الثالثة، على أساس أن الإدارة الأمريكية «تهوش»، وعليه أن يهتبل الفرصة لابتزازها.. واللعب بورقة «التدخل الخارجي»، في الشؤون الداخلية. لاستنفار الشعب، وأعتقد أنه لو تذكر أن الشأن المصري كله شأن أمريكي ما كان قد تصرف على هذا النحو.

والأرجح أن هذا السيناريو الرديء تم تصميمه لتمرير الغطاء العسكري العربي المطلوب لقرب بدء تطبيق ما يعرف في الأدبيات الأنكلو أمريكية بـ«استراتيجية الخروج»، وإذا لم يكن الأمر كذلك فأين سورية الموضوعة على قائمة الغزو، إذا ما استمر «الجنون الأيديولوجي» مسيطرا على عقل الإدارة الأمريكية؟ هل هذه القوات العربية المقترحة ستتدخل إذا ما تعرضت سورية للغزو، سواء جاء ذلك عبر لبنان أو عبر الدولة الصهيونية، أو العراق؟ وماذا يمنع أن يكون هذا السيناريو لحشد عسكري عربي، يكون رديفا للعمليات المتوقعة ضد إيران؟ هل هناك إمكانية لتحدي القواعد العسكرية والأساطيل وحاملات الطائرات الأمريكية، المحيطة بالمنطقة العربية وفي قلبها؟ كيف يمكن تحييد الوجود الأمريكي الكثيف بالمنطقة؟ وهل لدى أحد، غير الشعب، القدرة على التصدي لجماعات المصالح والاحتكارات الأمريكية والصهيونية المتحكمة في مفاصل سياسة واقتصاد مصر وإدارة حسني مبارك ومن على شاكلته؟ ومنها مصالحه واستثماراته، ومصالح رجال أعماله وثرواتهم، التي تكونت برعاية ودعم وتشجيع مؤسسات مالية واحتكارية أمريكية وصهيونية؟ من أين واتت حسني مبارك القدرة على الخروج من «بيت الطاعة» الأمريكي الصهيوني؟ وماذا سيفعل بالوزارة التي تحكم مصر، وتمثل الاحتكارات الأمريكية والصهيونية؟ هل هي صحوة متأخرة أم ندم مؤجل تسبب فيه الخوف من الغدر الأمريكي، وهو من كان شريكا في كل ما اقترف من جرائم ضد العرب؟ كان في مقدمة من حاصروا ليبيا، ومن حرضوا على حصار العراق وشريكا في غزوه؟ هل تجرع «مشروب الشجاعة»، الذي عزا إليه سلوك الشاعر جمال بخيت، في معرض القاهرة للكتاب من عدة سنوات عندما انتقد بعض سياساته؟ أين كانت وزميله، ياسر عرفات، حبيس «المقاطعة» دون مكالمة واحدة للسؤال عنه؟.. لم يتلق منه غير التهديدات التي حملها باسمه عمر سليمان، وغير الضغط الدائم للتسليم بشروط شارون؟ ومات أبو عمار مسموما فأقام له جنازة عسكرية مهيبة وسار فيها مع السائرين؟

هذا ليس تكتلا ولا تنسيقا ولا حتى وحدة صف، كما وصفت واحدة من الصحف «القومية» المصرية جولة حسني مبارك؟ أنَسي أنه هو من أذل أعناق المصريين بالمعونة الأمريكية، واتخذها مبررا للتبعية والإذعان؟.. هل زيادة أسعار النفط أزاحت عن كاهله ضغط التدهور الاقتصادي والديون التي لحقت باقتصاده فقرر العزف على وتر التصدي للتدخل الأجنبي كسبا للمال السعودي والخليجي؟ أم أنه اطمأن لدعم الدولة الصهيونية الواقفة في صفه للحد من ضغط إدارة بوش؟، ما هو الثمن المدفوع؟ هل هو الاتفاق الذي قيل ان «الرئيس الموازي» وقعه «سرا» مع مسؤولين صهاينة وأشرنا له في مقالنا الماضي؟

حسني مبارك لا يشغله الهم العربي أو الإسلامي أو الوطني، وكل ما يشغله هو الانتقام وتصفية الحساب مع حركة «كفاية» الرافضة للتوريث ومعاقبة القضاة لتصديهم لتزوير الانتخابات الأخيرة، وحبس الصحافيين للحد من مقاومتهم للفساد، ولن ينفذ إلا ما وعد به الإدارة الأمريكية والإفراج عن أيمن نور الشهر القادم، لأنه في حاجة إلى استئناف مفاوضات اتفاق منطقة التجارة الحرة المجمد مع الولايات المتحدة، وعلى أمل أن ييسر بذلك على «الرئيس الموازي» حكم مصر، وهو ضامن خروج أيمن نور من المنافسة على الرئاسة القادمة المتوقعة خلال سنتين.. فالإفراج لن يكون مصحوبا بإلغاء العقوبة.. سيترك أمرها للمستويات القضائية الأعلى، الاستئناف والنقض، لعدة سنوات، يكون «النجل» قد ورث العرش واستقر فوقه، إذا لم تمنعه موانع ليست في الحسبان الآن، ومن مشاغله، أيضا، إقناع عمرو موسى بالتجديد، لفترة أخرى، مدتها خمس سنوات، تبدأ من نيسان (إبريل) القادم تفاديا لإمكانية منافسته على المنصب المحجوز لـ«النجل».

حسني مبارك يتصور أن اللحظة مواتية لضعف موقف الإدارة الأمريكية، لكن ماذا عن نفس اللحظة التي واتت وهو في ضعفه ويشهد موت حكمه؟!!

* كاتب من مصر يقيم في لندن

حول مفهوم المقاومة السلمية في العراق المحتل

هيفاء زنكنة *

■ في واحدة من رسائلها التفصيلية، الصريحة، الى والدها، كتبت الانسة غرترود بيل ملخصة ما يمكن اعتباره جوهر السياسة الاستعمارية قديما وحديثا. وهو جوهر لم يتغير كثيرا في عنصريته واستغلاله واشاعته للدسائس والتفرقة البغيضة بين ابناء الشعب الواحد، مهما أطلقت عليه من تسميات ومصطلحات جديدة. فالاستعمار، بمعناه الاستغلالي لثروات الشعوب، وفرضه وضعا سياسيا دون غيره، ونظرته الفوقية المستهينة بأبناء البلد المحتل، هو ذاته القديم، الجديد. وهو الامبراطورية، وهو عولمة الشركات الاحتكارية وسيطرتها المتنامية. ويمكن اعتبار كلمات مس بيل، مستشارة الملك فيصل الاول وسكرتيرة المندوب السامي في العراق، في عشرينات القرن العشرين، هي الافضل تعبيرا عن طبيعة عملها الاستعماري وسياسة دولتها.

حيث كتبت قائلة: «من مزايا سياستنا في العراق، انهم حين يختلفون فيما بينهم يطلقون النار على بعضهم البعض وليس علينا».

في ظل هذه الصورة البغيضة التي ترسمها مس بيل عن ابناء البلد المحتل وانتشائها بنجاح السياسة الاستعمارية في التفرقة، ومن وراء ركام الالفاظ النابية ولهجة الاحتقار التي تستخدمها، في رسائل أخرى، لوصف المتعاونين مع الاحتلال، وهي نفس اللهجة التي يستخدمها خليفتها الامريكي بول بريمر في وصف المتعاونين مع الاحتلال الانكلو ـ امريكي من اعضاء مجلس الحكم البائد، في مذكراته المنشورة أخيرا، تبرز صورة اخرى عن مواقف ابناء البلد المحتل في مقاومة الاحتلال باساليب مختلفة وموقف السياسيين الذين تعاونوا مع السلطة الاستعمارية منها. الصورة الأخرى، التقطها من تاريخنا الحديث، لانها قد تساعدنا على فهم معنى بعض المصطلحات الشائع استخدامها هذه الايام من قبل سياسيي الاحتلال، وأهمها هو مصطلح «المقاومة السلمية» للاحتلال لاجباره على الرحيل. ويدل شيوع استخدام المصطلح وتكراره بكرة وأصيلا، من قبل سياسي الاحتلال على ان التخلص من الاحتلال ومناهضته طلبا ملحا من مطالب الشعب ولايمكن التنازل عنه بأي شكل من الاشكال. ويأتي تبنيه لفظيا دليلا على اشكالية التناقض الهائل ما بين الشعارات وتطبيقاتها على ارض الواقع.

هذه الاشكالية ليست جديدة. اذ انها الطرف الاساسي في معادلة الاحتلال والمتعاونين معه من جهة ومقاومي الاحتلال من الجهة الثانية. وقد عاشها اجدادنا في بداية القرن الماضي تحت الاحتلال البريطاني وما تلاه من حكومات مثلت سياسة المستعمر. فلمواجهة الحكومات العميلة ولدت المقاومة السياسية. وقد كتب عن بعض ملامحها الشعبية الاصيلة عالم الاجتماع الدكتور الراحل علي الوردي، في كتابه الرائع «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث» ـ الجزء السادس ـ عام 1920 الى 1924. يخبرنا علي الوردي: «أن المعارضة الجديدة تختلف عن سابقتها بالاسلوب. ففي عهد المعارضة السابقة كان يكفي للمجتهدين ان يصدروا فتاويهم في تحريم أمر من أمور السياسة، وكانت تلك الفتاوى ذات تأثير كبير على الناس لان المخالف لها كان ينال نبذا واحتقارا اجتماعيا بالاضافة الى ما ينتظره في الاخرة من عذاب مقيم، اما الان فقد صارت المعارضة تستعمل اسلوبا اخر مستمدا من طبيعة الدنيا وليس للاخرة فيه نصيب.

وكمثال، اخذت المعارضة تستخدم النساء والصبيان للتأثير على النواب. فقد كان المعارضون يأتون بالنساء الاعرابيات من ذوات الشخصية القوية، يجمعوهن من بعض المحلات كالبو شبل والدورين ويرسلوهن الى بيوت الشيوخ من النواب فاذا دخلت احداهن على الشيخ صرخت في وجهه على الطريقة العشائرية : «على بختك يا ابو فلان، تبيعونا للصوجر، ألف وسفة عليكم». وكثيرا ما كانت هذه الطريقة تؤثر في الشيوخ لانها تمس اوتار قلوبهم البدوية.

وكانت المس بيل قد كتبت عن الظاهرة نفسها قائلة بأن عجيل الياور قد جاء لرؤيتها. وقال لها :

«انت لاتدرين ماذا يجري في المدينة، فهناك امام بيتي يقف ليلا ونهارا شخص من اهل السوق. انه ليس كبيرا في السن بل صبيا رث الملابس. وفي كل مرة ادخل الى البيت او اخرج منه يتلقاني هذا الصبي فيمسك بيدي لتقبيلها، او يقبل عباءتي او طرف قبائي، ثم يبكي قائلا: ايها الشيخ، يا والدي، ارفض المعاهدة، لا تبيعنا الى الانكليز. انه لا يعرف فحوى المعاهدة. وقد استؤجر لكي يقف عند باب بيتي ويقول ما يقول. ثم يختم عجيل الياور كلامه بقوله: اذا كان امام بيتي واحد، فان هناك ثلاثة او اربعة امام بيت كل عضو من اعضاء المجلس».

هذه أمثلة بسيطة على المعارضة الشعبية للاحتلال البريطاني ومتعهديه في العشرينات وهو اسلوب يمكن ان يطلق عليه مصطلح «المقاومة السلمية» الحديث. فما هي أمثلة المقاومة السلمية التي أعلنت عنها الحكومات المؤقتة، حاليا، تنفيذا لوعود التخلص من الاحتلال ومرتزقته بالمقارنة مع معارضة عشرينات القرن الماضي؟ وهل نفذ سياسيو الاحتلال وعودهم الانتخابية لمن خاطر بحياته وانتخبهم؟ كلا. ان عباءة الفشل تغطي الجميع. ويمتد الفشل ليكرس الارهاب الطائفي والسياسي وانتهاكات حقوق الانسان في ظل حكومة منتهية الصلاحية، وتكالب على مناصب بات واضحا بأن مالكها الفعلي هو أمريكي ـ بريطاني ومستخدمها المحلي عراقي. ويمتد الفشل ليظهر عجز الفائزين والخاسرين معا عن تشكيل حكومة تزيح عن كاهل الشعب بعض مصائبه. بل ويمتد الفشل ليبرعم بذور التفرقة الطائفية والعرقية والجنسوية بشكل لم يشهد له العراق مثيلا. ويوفر المبرر الاخلاقي لبقاء قوات الاحتلال في البلاد الى أبد الآبدين باعتبارها المنقذ والحامي الوحيد لاهل العراق من أنفسهم. من تخلفهم وقسوتهم. وهو ذات المبرر الاخلاقي الذي يرفعه سياسيو الاحتلال، المرة تلو المرة، ليطهروا انفسهم من الجرائم الشنيعة، المرتكبة تحت أنظارهم وهم صامتين.

ولنعد الى مفهوم المقاومة السلمية المرفوع من قبلهم. فما الذي فعلوه، حتى الان، سلميا، لمطالبة قوات الاحتلال بمغادرة عراقنا المحتل؟ لاشيء. بل ان ما يجري هو توسلهم لقوات الاحتلال بتمديد البقاء وعدم الرحيل. ما الذي فعلوه في مجال رفع الحصانة والحماية عن القوات، المرتزقة، المتعاقدين، وكل المتعاملين مع الاحتلال عند ارتكابهم الجرائم، بضمنها جرائم القتل، والانتهاكات بحق اهلنا؟ لا شيء. الانتهاكات والجرائم مستمرة من قبل قوات الاحتلال والمتدربين على ايديهم. ما الذي فعلوه من اجل توفير الاساسيات لابناء الشعب ليستعيد قوته، ليحارب المحتل دفاعا عن كرامته؟ لا شيء. فالشعب المنهك المنشغل بالسعي ليلا نهارا من اجل لقمة العيش وتوفير الاساسيات لنفسه وعائلته هو المطلوب لديمومة الاحتلال. ما الذي فعلوه لتخفيف حضور المحتل واجهزته وقواته؟ لا شيء. ما يجري حاليا على اراضينا هو بناء المزيد من السجون وتوزيعها بديمقراطية في جميع انحاء البلاد فضلا عن توسيع ما هو موجود منها لتتسع للمزيد من المعتقلين. ومقابل كل معتقل يطبل المحتل ووكلاؤه لاطلاق سراحه والاعلان عن عدم وجود ما يدينه بعد حجزه، في المعتقلات، مدة تزيد عن العامين احيانا، بلا تهمة او محاكمة، يتم اعتقال المزيد.

ويتستر سياسيو الاحتلال على ما يثبت، حصرا، ان احتلال العراق، قد تم التخطيط لاستمراره لعقود مقبلة وبمساعدتهم من خلال الصمت المحيط ببناء مجمع اكبر سفارة امريكية في العالم واكثرها تحصينا في بغداد. حيث تقوم شركة كويتية تدعى First Kuwaiti بتنفيذ عقد البناء البالغة قيمته 592 مليون دولار، مستخدمة اكثر من 900 عامل آسيوي يعملون حاليا لاكمال المجمع. والمعروف ان رأسمال الشركة الكويتية كان 35 مليون دينار قبل ثلاث سنوات فقط الا انه تجاوز، منذ احتلال العراق، خط المليار دولار.

وفي العراق الذي لم ينفذ فيه اي مشروع بنائي بشكل يستهدف مصلحة الشعب وبمواصفات سليمة، منذ الاحتلال وحتى الآن، وخلافا للمشاريع الوهمية والفساد يتم بناء السفارة بسرعة مذهلة ووفق الجدول الزمني المحدد له حسب تقرير سلطة الاحتلال للجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس لشهركانون الاول ـ (ديسمبر) الماضي. مما يعيد الى الاذهان صورة الحماية الامريكية الكاملة لوزارة النفط عقب الاحتلال مباشرة وتجاهلها لكل ما عداها من متاحف ومكتبات ومبان عامة اي كل ما يمثل تاريخنا وحضارتنا وهويتنا وبالتالي مستقبلنا.

وستحتل السفارة مساحة 104 أفدنة على ضفة نهر دجلة. في قلب بغداد. ستكون مزودة باحدث المعدات وبتحصينات هائلة، وسيبلغ سمك بعض جدرانها 15 قدما. وسيتم اكمال البناء في العام المقبل. ليقيم فيها الف موظف ومستشار امريكي. ولن يصيبهم ما يصيب العراقيين من ازمات انقطاع التيار الكهربائي او تلوث مياه الشرب مع المجاري لان امداداتهم كلها ستكون منفصلة تماما عن بقية العاصمة.

فما هو موقف سياسي الاحتلال من بناء أكبر سفارة امريكية في العالم واكثرها تحصينا في قلب عاصمتنا بغداد؟ هل أدان أحدهم تجذير قاعدة القتل الامريكي في بغداد اروحنا واجسادنا؟ كلا. لقد اختاروا، جميعا، على اختلاف طوائفهم وقومياتهم واجناسهم واحزابهم، التلفع بعباءة الصمت المطلق وأضافوه الى صمتهم ازاء الجرائم والانتهاكات والفساد والاستغلال الاقتصادي. لانهم يعرفون جيدا بانهم ان نطقوا احتجاجا او اعتراضا سينقطع حبل السرة الذي يربط مصالحهم بمصالح الاحتلال، ويمدهم بحياة مهما طالت ستبقى قصيرة بمفهوم الشعوب وكرامتها ونضالها ضد الاحتلال.

* كاتبة من العراق

مسلمو الهامش في آسيا الامريكية

د. عبدالوهاب الافندي

(1)

اصبح في غاية الصعوبة القاء اللوم على امريكا في المحنة التي يعاني منها العرب والمسلمون في هذه الحقبة بعد ما كشفت عنه زيارة الرئيس الامريكي الاخيرة لمنطقة جنوب آسيا من تواطؤ المسلمين فيما يتعرضون له من اذلال.

فقد كشفت تلك الزيارة عن مفارقات مبكية في طريقة التعامل مع فئة تعامل كبشر كاملي الاهلية، واخرى تعامل كقطعان من البهائم، او على افضل الاحوال كتلاميذ مدارس.

(2)

في افغانستان التي يحكمها رجل تسنده جيوش اجنبية ولا يمتد سلطانه بعيدا عن محيط قصره، تحدث بوش طويلا عن الديمقراطية للشعب الافغاني الغائب، ووجه تحذيرا لايران بانه لن يسمح لها ابدا بامتلاك القدرة او المعرفة النووية. نعم، حتى المعرفة ممنوعة. اما في الهند التي تتمتع بديمقراطية فقد عرض عليها اقصى درجات التعاون النووي مع انها تملك السلاح النووي فعلا لا تخيلا، ولم توقع على معاهدة منع الانتشار النووي ولا تسمح باي تفتيش لمواقعها النووية.

(3)

في باكستان التي استقبل بوش فيها بتفجيرات استهدفت قنصلية امريكية، وبمظاهرات واضرابات تحدث بوش عن تحدي مقارعة الارهاب، وبمظاهرات واضرابات.

ووصف الحاكم العسكري الاوحد هناك بأنه حليف قوي في هذه المعركة لان الارهابيين حاولوا قتله اربع مرات. ولم يعرض هنا تعاون نووي او دعم للشعب الباكستاني، وانما مزيد من الدعم للدكتاتور.

(4)

من الواضح لكل ذي عينين ان هذا التمايز في التعامل يعكس الاحترام للهند وحكومتها ومواطنيها، والاحتقار لباكستان وافغانستان وايران ومواطني تلك البلدان. الهند تعتبر أهلا للصداقة والعون، وحكومتها تعتبر مؤتمنة على التكنولوجيا النووية والوقوف كتفا الى كتف مع الكبار. اما الدول الاسلامية فشعوبها غير ناضجة تحتاج الى التطويع بالسيف والسوط، والمعونات التي تقدم هي لتحقيق هذه الغاية.

(5)

الامر لا علاقة له بكون حكومات الدول الاسلامية دكتاتورية في الاغلب، لان الصين دكتاتورية ومع ذلك تعامل باحترام. ولا علاقة للامر بفقر الدول الاسلامية، وكون بعضها تتسول المعونات، لان هناك دولا اسلامية تقدم المعونات لامريكا، بل وتمول القواعد العسكرية التي تستخدم لاحتلالها.

(6)

لماذا اذن يجد المسلمون انفسهم على هامش الهامش مع آسيا التي يعاد صياغتها امريكيا؟ ولماذا يكون هذا حالهم في كل مكان آخر؟ والاجابة بسيطة غاية البساطة لانهم يستحقون ذلك.

(7)

يمكن وضع السؤال بصيغة اخرى: لماذا في العالم الاسلامي وحده توجد الحكومات التي تعامل شعوبها باحتقار، وتستخدم موارد البلاد لاخضاع سكانها لا لخدمتهم؟ ولماذا تسارع هذه الحكومات بالتطوع لاخضاع سيادة البلاد للاجنبي على حساب مصالح الشعوب وكرامتها؟ واهم من ذلك، لماذا تخضع الشعوب لهذه الحكومات وتعجز عن ازاحتها وتقديم البديل الافضل لها؟

(8)

الشعوب التي ترتضي لنفسها الذل والهوان والمعاملة على انها من دون جنس البشر، تستحق ان يهمشها الآخرون وان يحتقروها. واذا كان شاعرنا القديم يفتخر زورا باننا قوم لنا الصدر دون العالمين او القبر، فان من المعلوم ان الانسان قد يحمل ليوضع في قبره، ولكن لا احد يحمل شخصا ليضعه في صدر المجالس، وانما المرء يضع نفسه هناك بجهده وانجازه. اما من يجد نفسه في الذيل وراء العالمين فانما يكون لانه فعلا استحق ذلك. ومن المضحك ان يتباكى البعض (مثل تلاميذ المدارس) على هذه المعاملة غير المنصفة، لان هذا التباكي هو ابلغ دليل على ان هذه هي فعلا المعاملة الصحيحة!

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel: (9626) 5337920 Fax: 5337928
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364